(30-32)

الدولة الفلسطينية المستقلة في السياسة الخارجية الأمريكية

مئة يوم في الوحل

اعتقد البعض وفي مقدمتهم الادارة الامريكية ان شارون، القائد العسكري المغامر الذي قاد الوحدة (101) والذي ارتكب مجزرة صبرا وشاتيلا لن يظل كما هو عندما يصبح رئيساً للوزراء. فالمسؤولية الشاملة تفرض عليه النظرة الموضوعية. فقيادة المعارك والمواقع والمهمات المحددة، ليس كقيادة الحروب الكبرى. وقد ساد هذا الاعتقاد لدى بعض الاوروبيين وحتى بعض العرب بمن فيهم بعض الفلسطينيين. وهنا لا بد من التمييز بين من يعتقدون جدياً أنه يمكن ان يتغير ويتحول الى بطل سلام. وبين من يعتقدون العكس تماما، ولكنهم يسايرون الواقع الذي لا بد ان يتكشف لدى الآخرين خاصة الادارة الامريكية واوروبا وبعض الانظمة العربية.

لقد اعلن شارون برنامجه الانتخابي الذي لا يحمل من السياسة سوى بعض التضليلات، ويرتكز اساسا على فرض الامن القسري والاذعان المهين على الشعب الفلسطيني. انه مشروع وضع من اجل ان يفرض التصعيد وتحويل الانتفاضة الشعبية الشاملة الى حرب عسكرية يمتلك شارون فيها مبدأ التفوق بالسلاح.. ومع توليه السلطة رسميا في السابع من آذار بدأ العد العكسي لخطة المئة يوم. كان ذلك بالنسبة للشعب الفلسطيني يوم الديمقراطية وكان اجتماع المجلس التشريعي وخطاب الاخ ابو عمار يؤكد على التوجهات التي تدعم الوضع الداخلي للصمود.. والبناء. ولكن خطوات شارون، الثور الهائج المتلهف لاغراق عينيه في بحر الدم الاحمر القاني، اعطت الاجابة الصريحة والاولى، ان الطَّبع يغلب التَّطبُّع. وان الضبع الغدار الشره سيظل كذلك حتى لو سقطت اسنانه وحتى لو تبرقع بوجه سلام بيريس الزائف. وتوالت الايام لتعيد الى الاذهان ولتؤكد ان شارون لا يتصرف على سجيته فحسب، وانما لانه وجد له حليفا يساعده في تمرير خطته المئوية التي اعتقد هو ومسانده الامريكي انها ستفرض الركوع والاذعان على الشعب الفلسطيني. وسيصبح ما قدمه باراك وكلينتون مجرد حلم ليلة صيف واكبر بكثير من فرصة ضائعة.

لقد وجد شارون في الرئيس الامريكي الجديد وادارته من يتبنى بشكل واضح التقرير النهائي لمجموعة الدراسة الرئاسية، حيث صديقه وحليفه القديم الكسندر هيج احد ابرز الاعضاء العشرة في اللجنة الموجهة للمجموعة، اضافة الى اعضاء مجموعة الدراسة التي ضمت اثنين واربعين عضوا من الحزبين الجمهوري والديمقراطي معظمهم من الصهاينة وانصارهم. واعتماد السفاح شارون على نصوص التقرير يعيد الى الاذهان ان شارون هو الذي انجز التحالف الاستراتيجي الامريكي في نوفمبر 1981 من خلال هيج،ولتوضيح ذلك تشير الى ما جاء في تقرير مجموعة الدراسة الرئاسية المعنون الابحار عبر الاضطراب (Navigation through Turbulence) فقد جاء في الملخص التنفيذي للتقرير ما نصه (تأكيد ان يفهم رئيس سوريا الجديد بشار الاسد ان تشجيع حزب الله على القيام بعمليات ضد اسرائيل قد يحفز مواجهة اقليمية اوسع تتلقى فيها سوريا ردا اسرائيليا شديد الوطأة) (1). هذا التهديد يؤكد ان الحرب الاقليمية التي يجب ان يشنها العرب ضد اسرائيل لا تعني الحرب العسكرية وانما الحرب الاقتصادية التي تستهدف المصالح الامريكية في المنطقة وفي مقدمتها النفط العربي.

ان التصعيد المجنون الذي يمارسه شارون لن يتكسر في الهواء وانما على صخرة صمود الشعب الفلسطيني. وهذا الصمود لن يتحقق من فراغ وانما هو بحاجة الى مقومات اساسية نحاول جميعنا التوصل الى تأمينها حتى لا نضمن النصر فحسب وانما ايضا تقليل الخسائر والمعاناة على شعبنا.

فالانتفاضة المباركة اصبحت في نظر شعبنا وفي نظر امتنا العربية والاسلامية تمثل شرعية نضالية لا يجوز باي حال من الاحوال الحديث امكانية المس بها، باستمرارها وتطويرها وتصعيدها حتى تحقق كامل اهدافها. فهي ورقة ليست للمساومة من اجل وقف الاستيطان، او من اجل العودة الى المفاوضات، او من اجل العودة الى الاوضاع التي كانت سائدة قبل 28 ايلول الماضي. انها الآن تتجذر بحيث تعبر عن تكامل نضالي فلسطيني يؤكد الصمود في وجه المخططات التي تستهدف النيل من حقوقنا الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف. وهي تؤكد المقاومة الباسلة كحق شرعي لمواجهة الاحتلال والاستيطان وازالته من جذوره. وهي في نفس الوقت تؤكد على اهمية البناء المستمر لمؤسسات الدولة الفلسطينية المستقلة. هذه الانتفاضة كحركة شعبية تضم جميع مؤسسات المجتمع المدني واجهزة ومؤسسات السلطة الوطنية تعني ممارسة الشعب الفلسطيني كله في الوطن وفي الشتات لواجباته التي تندمج مع حقوقه في لهيب البعد الوطني للمعركة. ولكي تتحقق الاهداف التي اندلعت الانتفاضة المباركة من اجلها لا بد من تأكيد مجموعة اسس ضرورية لا بد من استكمالها كشروط اساسية للنصر (2).

الشلل في الادارة الامريكية.. الى أين

الشلل الذي تعاني منه الادارة الامريكية يعيد الى الاذهان حالة الشلل الذي عانت منه ادارة كلينتون عندما سيطرت على البيت الابيض ظاهرة مونيكا. ففي غمرة الشلل، استفرد الصهيوني دينس روس وصاحبه مارتن انديك بملف عملية التسوية بشكل جعلها تصل الى نهايتها المحتومة في كامب ديفيد.

في الوقت الذي ترى فيه وزارة الخارجية، وممثلها كولن باول ان تصرفات شارون وتصعيده عمليات الاغتيالات تشكل عقبة امام وقف العنف، وتثير العالم العربي بمن فيهم اصدقاء امريكا ضد السياسة الامريكية، الامر الذي قد يلحق الضرر ويهدد مصالح امريكا في الشرق الاوسط. في نفس الوقت، ترى وزارة الدفاع (البنتاغون) ان ليس امامها سوى خيار واحد هو دعم اسرائيل ومساندتها واتباع خط متشدد ومعلن، ويكمن السبب لهذا التوجه في رأس المحللين في وزارة الدفاع ان العرب الذين يشكون ويتذمرون من المسلك الاسرائيلي ليس لهم من يحمي أمنهم سوى الولايات المتحدة، ويعتقد المفكرون السياسيون في وزارة الدفاع (البنتاغون) ان نظام الدفاع الوطني الصاروخي والتكتيك العسكري الامريكي لمواجهة التهديدات الارهابية للمصالح الامريكية يتطلب علاقة استراتيجية متميزة مع الكيان الصهيوني حيث لم تعد اسرائيل مجرد مصلحة امريكية حيوية وانما هي بالنسبة للبنتاغون تشكل مفتاح حماية المصالح الامريكية في المنطقة.

في ظل هذا الشلل يبرز دور فريق السياسة العالمية الامنية في وزارة الدفاع الذي يتحرك في اطار المفكر السياسي صاحب الخط المتصلب والمؤيد لاسرائيل ريتشارد بيرل، الذي هندس لريغان خطة حرب النجوم وجعل لاسرائيل دورا اساسيا فيها. ويجد فريق السياسة العالمية الامنية في وزارة الدفاع تأييداً من نائب الرئيس ديك تشيني ومن مستشارة الامن القومي كونداليزا رايس. حيث يتطلع هؤلاء الى التركيز نحو العراق والعمل على ضرب نظامه حيث يتفرق العرب بعيدا عن الكيان الصهيوني الذي يوحد عداؤه العرب.

وقد كان للتصريح الذي اعلنه ديك تشيني، بعد عملية الاغتيال المركزة على قيادات حماس في نابلس، حيث برر هذه العملية مؤيدا سياسة شارون الارهابية اثره في الاحتجاج الشديد من قبل كولن باول الذي طالب من الرئيس بوش استنكار تلك العملية وادانتها لما قد تجره من سوء لسمعة الولايات المتحدة، اولا اتجاه العرب اصدقائنا الذين بدت انتقاداتهم واضحة ضد الموقف الامريكي، اضافة الى سمعة الولايات المتحدة تجاه حلفائنا الاوروبيين الذين يتناقضون مع سياسة تأييد القتل والاغتيال والغطرسة. ناهيك عن خطورة التصريحات غير المسؤولة التي تهدد علنا باغتيال وتصفية رئيس السلطة الوطنية ياسر عرفات، الذي يعني ان الولايات المتحدة توافق على سياسة قتل الاطفال والقيادات الفلسطينية بالاسلحة الامريكية.

وقد استجاب الرئيس بوش لمطلب كولن باول فاصدرت الادارة الامريكية ادانة للعملية وافق عليها بوش.

لقد كان غضب باول ينطلق من ان مصالح امريكا لا يمكن الحفاظ عليها بالقوة الاسرائيلية كحليف استراتيجي كما يرى قادة البنتاغون، وانما بالتوازن بين المصالح العربية والمصلحة الاسرائيلية. ولهذا قام بتكليف نائبه ريتشاد ارمينتاج بمواجهة جدعون ساعر سكرتير الحكومة الاسرائيلية وابلاغه ان الولايات المتحدة ترفض المسلك الاسرائيلي وان الولايات المتحدة لن تكتفي بمجرد الادانة اذا استمرت الاعمال الاسرائيلية على ما هي عليه، اذا كنتم ترغبون في الوقوف وحدكم امام العالم فلا تتوقعوا منا ان نقف وحدنا معكم في مواجهة العالم. كما اكد المبعوث الامريكي وليام بيرنز حيث خاطب القادة اليهود في نيويورك على ان سياسة الاغتيالات التي تتبعها اسرائيل تضعف وتسيء للموقف الاسرائيلي.

هذا الشلل الواضح الذي تعيشه الادارة الامريكية حول المفارقة التي تحدثها ظاهرة شارونيكا تنطلق من الرؤية نحو المصالح الامريكية في المنطقة وكيف يمكن حمايتها.

ولا تتوقف المعركة حول المصالح على ساحة الصراع الدموي في فلسطين وانما تمتد الى ساحة الصراع الدولي حيث تقف امريكا تدافع بشكل سافر وفاضح عن السياسية العنصرية التي تمارسها حكومة السفاح شارون، وترفض ان توجه له اية ادانة في المؤتمر الخاص بادانة العنصرية الذي كان يتم التحضير له ليعقد في دارابان في جنوب افريقيا.

ان الاصرار الامريكي على ادراج ما يسمى الهولوكوست لادانة التطرف الاوروبي ضد اليهود قبل اكثر من خمسين عاما يرافقه اصرار على رفض ادراج الممارسات العنصرية وادانة العنصرية. وخاصة انها تجري الان يوميا على مرأى ومسمع كل البشر. هذا الموقف يفرض على العرب والمسلمين ودول الانحياز التشبث بمواقفهم وعدم الخضوع للابتزاز الامريكي بمقاطعة المؤتمر كما فعلوا في مرات سابقة. فليقاطعوا وليعزلوا انفسهم وليتمسكوا بالفيتو في مجلس الامن لحماية المصالح الاسرائيلية على حساب مصالحهم مع العرب والمسلمين (3).

طغيان بلا حدود

من الواضح ان الشعور الانساني تجاه الكارثة المأساة التي حلت بالمواطنين الامريكيين الابرياء تغلب على المشاعر الاخرى التي خلفتها الكراهية لسياسات الولايات المتحدة تجاه شعوب العالم. وان كان البعض قد تجاوز رد الفعل الانساني الى السقوط في نفاق مبالغ فيه خشية ورهبة من غضب الاسد الجريح الذي لا يزال سيد الغابة. ولقد كان شعبنا الفلسطيني هو اكثر الشعوب تماسكا في توازنه تجاه

المشاعر المتناقضة بين ما اصاب الابرياء الامريكان نتيجة الارهاب الذي لا يزال مجهول الانتساب، وان كان واضح الاسباب، وبين ما يصيب الابرياء من شعبنا نتيجة ارهاب الدولة الصهيونية المدعمة بالاسلحة الامريكية وبمباركة الادارة الامريكية تحت ضغط اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية. ولقد كان استغلال الكارثة المأساة من قبل الارهابي شارون بطريقة وقحة وخبيثة ومخجلة، وكأنما توحي بانه كان ينتظر هذا الحدث المفجع ليوجه الاتهام الى الشعب الفلسطيني والى العرب والمسلمين. الامر الذي دفع بالولايات المتحدة رئيسا وادارة الى تعطيل مخططه وذلك حرصا على تحقيق توجهاتها لبناء تحالف دولي ضد الارهاب.

لقد اصابت الكارثة المأساة ليس فقط الابرياء من ضحايا العدوان، ولكنها تجاوزت ذلك الى تحقيق اهداف منفذيها بضرب رمز القوة والهيمنة الامريكية المتمثلة بالبنتاجون، رمز القوة العسكرية، ومركز التجارة العالمي، رمز القوة الاقتصادية. وهما يشكلان معا رمز القوة السياسية للولايات المتحدة.

ولقد اظهرت هذه العملية الكبرى عجز الولايات المتحدة عن حماية ذاتها من ردود فعل المضطهدين من خلال سياساتها الخارجية التي تكرس الحقد والكراهية في قلوب شعوب العالم. فالتكنولوجيا المتطورة، واساليب ووسائل مكافحة الارهاب لم تكن فاعلة وخصوصا عندما ترافقت مع مجموعة من ممارسات القهر والهيمنة التي تراكمت الى حدها الاقصى وتجاوزت اللحظة الحرجة التي ادت الى الانفجار.

ولقد ادرك الكثيرون من العقلاء في امريكا ان ما حدث هو نتيجة لاسباب لا بد من معالجتها. وكما اشار نورمان فنكلشتاين من جامعة دي بول (بان حكومة الولايات المتحدة - وهي حكومة نتحمل جميعنا مسؤوليتها - قد زرعت البؤس والرعب في اجزاء كبيرة من الانسانية. بالنسبة لمعظمنا، فان هذا البؤس والرعب سواء التدمير المنظم في لبنان عام 1982 وفي العراق عام 1991 او في صربيا حديثا، يمتلك حقيقة لعبة فيديو. لقد كان جريمة قتل جماعي بدون نتيجة، لقد كان مجرد متعة. والآن نحن نحصد دوامة الرعب الذي زرعناه) (4).

ويستطرد فنكلشتاين قائلا (لقد شعرت الولايات المتحدة بالارتياح لوضعها الجديد كقوة عظمى وحيدة. وتصرفت بغطرسة وتبجح مثير، ففي الذاكرة الحديثة رفضت الولايات المتحدة محكمة مجرمي الحرب الدولية، واتفاقية الحرب ضد الجراثيم، انسحبت من اتفاقية كيوتو، ومن مؤتمر دوربان، وسعت لالغاء معاهدة الاسلحة المضادة للصواريخ الباليستية، والمزيد المزيد، والقائمة طويلة. لقد كانت الفرضية انه لا ثمن تدفعه لكونك القوة العظمى الوحيدة. بحيث تفعل ما تشاء بحصانة كاملة. ولكن يبدو ان على واشنطن ان تعيد النظر في هذه الفرضية) (5).

ومن المؤسف ان هذه الاصوات وهذا النوع من التفكير لم يصل بعد الى الادارة الامريكية التي لا تزال تفكر بنفس الطريقة. الغطرسة والتبجح من اجل فرض الهيمنة. لقد كان اول ما تبادر الى الاذهان هو المزيد من غطرسة القوة، ففي اول اجتماع لمجلس العلاقات الخارجية، الذي عقد بشكل طارئ لاستكشاف ما على الولايات المتحدة ان تفعله كرد على العملية الارهابية في نيويورك وواشنطن. هو المقارنة بين كارثة بيرل هاربر في 7 ديسمبر 1941 مع كارثة 11 سبتمبر 2001، انه قرار الذهاب الى الحرب تحت عنوان.. لقد خرج المارد من القمقم.. وعليه ان يهشم كل من يقف في طريقه.. ولهذا كان الاجماع الامريكي على تغطية العجز الامني بالاستخدام المفرط للقوة العسكرية، بحيث وضع تحت تصرف الرئيس بوش 40 مليار دولار. وتم استدعاء الاحتياط وبدأت فكرة قيام التحالف الدولي لمحاربة الارهاب. وقد وضع في الاعتبار ان يضم التحالف، دول الناتو الاوروبية، وحلفاء امريكا في آسيا ودول الشرق الاوسط المعتدلة. وقد اعتمدت الولايات المتحدة سياسة (من ليس معنا فهو ضدنا) ولقد جاءت تصريحات نائب وزير الدفاع الامريكي بول وولفوتز لتؤكد اصرار الولايات المتحدة على المضي في حملة ضد الارهاب تكون

مستدامة وعريضة وفاعلة. ومن المعروف ان بول وولفوتز هو من المجموعة التي تضغط على الادارة للقيام برد عسكري شامل على الارهاب وتشمل خطة هذه المجموعة الصهيونية هجوما على جبهة واسعة بحيث يكون الهجوم ساحقا وربما يستهدف اطرافا مثل العراق وسوريا وايران والشعب الفلسطيني الذين تصنفهم هذه المجموعة بأنهم اعداء امريكا واسرائيل، ويعارض هذه المجموعة المتطرفة وزير الخارجية كولن باول الذي يفضل عمليات عسكرية جراحية وليست شاملة.

في خضم هذا الجنون الدولي الموجه ضد إرهاب هلامي غير واضح الملامح، يستمر اكثر اشكال الارهاب وضوحاً وهو المتمثل بالاحتلال الاسرائيلي، والاستيطان وما يتبعهما من عمليات القتل والاغتيال والحصار ومصادرة الاراضي والتطهير العرقي. كل هذا جرى تحت رعاية الادارة الامريكية خلال عام كامل. وان كانت الادارة قد فطنت بعد ان اصابها ما اصابها بانها غير قادرة على بناء تحالف لمواجهة الارهاب الخفي دون ان تكبح بالحد الادنى ارهاب شارون المفضوح. ولكن هذا الكبح الموقت يضع الشعب الفلسطيني في الامة العربية والاسلامية في موقع الاختبار عن مدى قدرتها لتطويع الاحداث والواقع القائم يخدم مصالحها ومستقبلها. فالشعب الفلسطيني وقيادته في منظمة التحرير والسلطة الوطنية، وموقف حركتنا فتح، يتطلع نحو بناء سلام يقوم على اساس قرارات الشرعية الدولية. ولان هذا الامر غير ممكن التحقيق في ظل حكومة السفاح شارون، فان مداراة الامور التي لا تضع شعبنا تحت مطرقة شارون وسندان الادارة الامريكية. استطاعت ان تفصل بين المطرقة والسندان الامر الذي يجعل ضربات شارون تضيع هباء في حين تحرض بعض اصوات الادارة الى الضغط على الطرفين من اجل تجميد الواقع وتحقيق الهدوء. وهو ما يعني بالنسبة لشارون ولامريكا وقف الانتفاضة والمقاومة، مع استمرار الاحتلال والاستيطان والمخوض في عملية تفاوض خادعة تنتهي بخضوع الادارة الامريكية الى قرار اللوبي الصهيوني بفرض هيمنة اسرائيل على منطقنا باعتبارها الحليف الوحيد لامركيا. هذا السيناريو الذي يرسمه حكماء صهيون آخر الزمان. يفرض علينا ان نحذر ونتوقع العدوان والقدر ما دام شارون هو صاحب القرار في اللسان الصهيوني. وهنا لا بد ان يكون دور الدول العربية والاسلامية فاعلا لتحديد ماهية الارهاب المنوي اجتثاثه. وان لا يترك هذا الامر لصهاينة امريكا ولحكام الكيان الصهيوني.

الدولة الفلسطينية
بين السراب الامريكي والخراب الاسرائيلي

خلال اسبوعين تكرر الحديث عن الدولة الفلسطينية، كان الأول من شارون وكان الثاني من بوش. وكان ما بينهما جحيم المأساة الانسانية التي عصفت بالولايات المتحدة في 11 ايلول/ سبتمبر 2001.

قال شارون قبل المأساة ان (اسرائيل مستعدة لمنح الفلسطينيين اكثر مما منحهم أحد قبلها، الاتراك، الانجليز، المصريون، الاردنيون: دولة فلسطينية) (6).

وقال بوش بعد المأساة (ان اقامة دولة فلسطينية مستقلة كان دائما جزءا من رؤيا (VISION) الولايات المتحدة للسلام في المنطقة بشرط الا يتناقض ذلك مع حق اسرائيل في الوجود) (7).

لم يكن تصريح الرئيس بوش متناقضا مع تصريح شارون. ولكن الضجة التي صاحبته ايجابا وسلبا نتجت عن توقيت اعلانه بعد المأساة، وبعد ان كان شارون قد تراجع بشكل سافر عن موقفه عندما اعلن ان الحرب ضد الارهاب ترتكز على محورين، الامريكي والاسرائيلي.. الامريكي ضد طالبان وبن لادن.. والاسرائيلي ضد السلطة الفلسطينية وياسر عرفات.

كان هذا الموقف الشاروني الا ستفزازي والا بتزازي والانتهازي مثار غضب الادارة الامريكية والرئيس بوش الذي ما ادلى بتصريحه الا من اجل ان يقدم للعرب والمسلمين بعضا من فتات ما يحلمون به، وهو مجرد كلمات (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً) ولكنه كان يحمل في طويته موقفا رافضا لايغال شارون في خطته التصفوية التي ستدمر مشروع بوش في بناء تحالف دولي لمكافحة ما يسميه الارهاب. ولقد سبب هذا التناقض الضمني الى تصريحات شارون الغاضبة التي قارنت بين تشيكسلوفاكيا واسرائيل، وبين بوش وتشمبرلين الا مر الذي صعد حالة سوء التفاهم، الذي لا يفسد التحالف الاستراتيجي بين البلدين في كل الاحوال. فقد اعتذر شارون بما فيه الكفاية. وصبر بوش على الغلب الذي يحيطه به اللوبي الصهيوني والكونغرس التابع له. واستمر شارون في تصعيد سياسة المناكفة ضاربا عرض الحائط بردود الفعل الامريكية، فاستمر في تصعيد عمليات الاغتيالات وبالغ في اجتياحاته للمناطق المحررة تحت ذريعة اغتيال وزيره المستقيل زئيفي "صاحب نظرية الطرد الجماعي للفلسطينيين من ارض فلسطين التاريخية تحت عنوان الترانسفير".

اصبح الحديث عن الدولة الفلسطينية مثار جدل في الساحات الرئيسية الثلاث: الساحة الفلسطينية والساحة الاسرائيلية والساحة الامريكية. الى جانب ساحات ثانوية اخرى عربية واوروبية، وروسية ودولية. وليس هنالك من موقف موحد محدد لهذه الدولة ومواصفاتها وشروطها في غياب استخدام تعبير حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، سواء في التصريح الامريكي او الاسرائيلي او الاوروبي. تلك الاطراف الحاسمة. والتي تشترط ان تكون الدولة نتيجة للتفاوض وليس حقا خاصا وخالصا للشعب الفلسطيني.

ما الذي يعنيه تصريح الرئيس بوش بان الدولة الفلسطينية جزءا من رؤيا السلام. وأين كان السلام قبل مأساة 11 سبتمبر/ ايلول. يوم كان الضوء الاخضر ساطعا يعطي لشارون كل مقومات العدوان والا رهاب لتركيع الشعب الفلسطيني. وفرض الاستسلام على السلطة الوطنية الفلسطينية.. ان دوافع بوش التي على شارون ان يفهمها، كما فهمها شامير من قبل من بوش الاب، هي بناء التحالف ضد ما يسميه الارهاب، كما كان الحال عند بناء التحالف العدواني على العراق. ووضع بوش الابن اكثر صعوبة حيث أن العالم العربي والاسلامي يرى في الارهاب الصهيوني المدعوم امريكيا حالة اكثر وضوحا ممن تتهمهم امريكا دون دليل واضح بالقيام بضرب الولايات المتحدة في البنتاغون ومركز التجارة العالمي.

ويجد بوش في ادارته من يعارضه بشأن الضغط على شارون، كما هي حال نائبه تشيني، ووزير دفاعه، رامسفيلد ونائبه وولفتز. الذين يسعون لتوسيع دائرة مكافحة الا رهاب لتشمل سوريا والعراق وايران. تلك المجموعة الصهيونية التي نجحت مؤخرا بوضع منظمات فلسطينية وعربية على قائمة الارهاب.

في حين يركز وزير خارجيته كولن باول على موضوع طالبان والقاعدة وبن لادن. وهو الامر الذي يستدعي اتخاذ اجراءات مقنعة للحكام العرب والمسلمين. وقد لعبت المواقف المصرية والسعودية والاردنية دورا فاعلا في مساندة الجناح الامريكي الاكثر ابتعادا عن تأثيرات اللوبي الصهيوني.

اما شارون، فانه يدرك ان أي دخول حقيقي في عملية السلام يعني اندثار حكومته اليمينية. وهو يتقلب بين بيريز وليبرمان للحفاظ على معادلته الصعبة التي تتغذى كل يوم بدماء واشلاء الضحايا الفلسطينيين. وتنتعش بنتائج ردود الفعل الانتقامية من القتلى الاسرائيليين الذين يدفعون ثمن حماقته وسياسته الخرقاء.

ويحاول الرئيس بوش الاستقواء في ضغطه الشكلي على شارون باستخدام المبعوثين والحلفاء الذين يتحولون من ضاغطين على شارون الى ضاغطين على السلطة الوطنية الفلسطينية. ولم يعد الحديث يتوقف عند المبادرة الامريكية التي يزمع كولن باول القاءها في الجمعية العمومية، وانما اصبح يدور حول

بلورة رؤيا دولية تشارك فيها الى جانب الولايات المتحدة كل من روسيا، والمجموعة الاوروبية والامم المتحدة اضافة الى مصر والاردن. وقد اصبحت هذه الرؤيا تتبلور بشكل يصب في طاحونة مشروع شارون للدولة الفلسطينية التي تقوم في اطار حل انتقالي طويل وليس في اطار اتفاق شامل. وتتلخص الخطة بالنقاط التالية:

1. تخلي اسرائيل من طرف واحد كل المستوطنات في قطاع غزة وتجري انسحابا رمزيا بمعدل 1% تقريبا من الضفة الغربية.
2. تعلن اسرائيل اعترافها من طرف واحد بالدولة الفلسطينية.
3. تسحب اسرائيل جيشها من كل المناطق التي دخل اليها بعد اندلاع الانتفاضة في ايلول 2000.
4. تنقل مسألة الحدود والقدس واللاجئين وحق العودة الى المفاوضات في المستقبل.

ولكي يتم تحقيق ذلك فان على السلطة الوطنية ان تقوم باجراءات ذات علاقة بامن اسرائيل اولها: اعتقال المطلوبين في عملية اغتيال زئيفي من المنفذين والمخططين. وإقامة تعاون كامل مع اسرائيل في المعلومات الاستخبارية حول المشبوهين الموجودين في مجال سيطرة السلطة واخراج الذراع العسكري للجبهة الشعبية عن القانون. وثانيهما تنفيذ السلطة لكل التزاماتها باعتقال كل من يخرق القانون وتغلق مكاتب منظمات الرفض وتخرج عن القانون الذراعين العسكريين لحماس والجهاد الاسلامي، وتعتقل قائمة المطلوبين الذين قامت اسرائيل عمليا باغتيال اثنين منهم. وثالثها: استئناف المحادثات الامنية.

وتشكل هذه المطالب ضغوطا واضحة على الجانب الفلسطيني حيث يتبلور حولها موقفان الاول: وهو الذي يعتبر ان الفرصة سانحة لاقحام الموقف الدولي بشكل كامل في العملية السلمية ويعتقد ان قبول المبادرة المطروحة يمكن البناء عليها خاصة وانها قد تحرج شارون وتخلخل حكومته، ويعتبر اصحاب هذا الموقف ان ما ضاع من فرصة كامب ديفيد يمكن استرجاعه وتحسينه. ولا يعطي هذا الموقف أي اعتبار لموضوع الوحدة الوطنية والانتفاضة. ويعتبرها عبئا على الشعب الفلسطيني ويعتقد ان الرأي العام الشعبي سيهلل له في حال اخراج جيش الاحتلال من المدن. والدخول في مفاوضات مرحلة انتقالية طويلة لبحث القضايا الاساسية المتعلقة بالحدود والقدس واللاجئين وحق العودة.

اما الموقف الثاني فانه يدرك ما وراء الطرح الامريكي من سراب وما وراء مشروع شارون من خراب. ولهذا فانه يتمسك بالثوابت التي تمسك بها في كامب ديفيد، والتي ترفض تجزئة الحلول والدخول في مرحلة انتقالية لقضايا الوضع النهائي. ويدرك هذا الموقف ان الانتفاضة كانت الدرع الذي حمى الثوابت الفلسطينية وكرسها امام العالم الذي يتطلب ان تتبلور صيغة دولية ذات ضمانات حقيقية وخاصة ان الولايات المتحدة ستكون بحاجة ماسة للموقف العربي والاسلامي. ويعتمد هذا الموقف على الدول العربية سياسيا وعلى الشعب الفلسطيني نضاليا بحيث يتم التعامل مع المبادرات بحكمة بحيث لا تعطى للسفاح شارون فرصة استقطاب الموقف الدولي للمزيد من جرائمه. وفي نفس الوقت تحافظ على الوحدة الوطنية لكافة مكونات الشعب الفلسطيني وترسخ العلاقة النضالية بين السلطة الوطنية بأجهزتها ومؤسساتها مع جميع القوى الوطنية والاسلامية وجميع مؤسسات وهيئات المجتمع المدني الفلسطيني.

واذا كان الموقف الاول يتطلب ترتيبات قد تؤدي الى الوقوع في اشراك شارون باثارة الفتنة الداخلية وتهيئة ظروف الاقتتال الفلسطيني الفلسطيني. فان الموقف الثاني يتطلب المزيد من الديمقراطية والحوار والتوصل الى القرار الجماعي الذي اذا لم يجلب المنافع فانه يدرأ المفاسد التي يحملها الموقف الاول في طياته.

ولقد كان رفض الاخ ابو عمار مطلب مبعوثي امريكا وروسيا والمجموعة الاوروبية والامم المتحدة

اعتبار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خارجة عن القانون تأكيدا لتمسكه بوحدة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني (8).

وقد ادرك الجميع خطورة الركض وراء السراب الذي يؤدي حتما الى الخراب وهو ما تطلب الوقفة الوطنية الجادة لمعالجة الوضع السياسي والتنظيمي والاجتماعي والشعبي من كافة جوانبه. فشعبنا في تلك المراحل الصعبة هو احوج ما يكون لكل من يحمي ولا يهدد. يصون ولا يبدد. ولا تكون يده من حديد الا على رؤوس الاعداء المحتلين والمستوطنين وليس على رأس أي مناضل مجاهد هو مشروع شهيد.

ان الوحدة الوطنية الراسخة التي تعززت في ظل الانتفاضة المباركة والمقاومة الباسلة كانت تشكل في تلك المرحلة طوق الامان والسلامة لشعبنا الفلسطيني وللمشروع الوطني وللمصلحة العليا لشعبنا.

ورسوخ الوحدة وتعزيزها تطلب من الجميع تكريس التفاهم الدائم حول الاستراتيجية والتكتيك، بحيث يكون الجميع شركاء في الرأي والقرار كما كانوا شركاء في التضحية والمعاناة والمواجهة الباسلة. وحيث ان اختلاف الرؤى الايديولوجية قد يفرض التباين في المواقف فان الثوابت التي تشكل برنامج الاجماع الوطني تشكل القرار الذي يوحد الصف باتجاه الهدف المحدد، الذي لا بد ان تكون الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة هي عنوانه الواضح ضمن الرؤية الفلسطينية بكل مكوناتها الجغرافية والديمغرافية والسيادة والسيطرة فقرارات الشرعية الدولية تفرض ان تكون حدود هذه الدولة هي حدود الرابع من حزيران وبدون أي مستوطنات وتكون القدس المباركة عاصمتها ويكون حق العودة جزءا لا يتجزأ من التوصل الى حل نهائي لانهاء الصراع.

ان اعلان تجسيد الدولة الذي كان استحقاقا فلسطينيا منذ الرابع من ايار 1999 يظل مطروحا شريطة الابتعاد عن مخططات تجزئة الحلول وتمطيطها انتقاليا الى ما شاء الله.

فالحل النهائي والمفاوضات لا يمكن العودة اليها ضمن شروط الحلول الانتقالية، وانما في اطار الثوابت وقرارات الشرعية الدولية 242 و 338 ومبدأ الارض مقابل السلام. هذه الروابط التي تضمن تصليب الموقف الوطني الفلسطيني. وتضمن الدعم العربي والاسلامي والدولي. وهي تشكل الخطة الاعتراضية لمشروع شارون التصفوي الذي يتطلب من الجميع الحفاظ على المنجزات وحمايتها والدفاع عنها. واعلان التعبئة العامة للتصدي والصمود في ظل الوحدة الوطنية الراسخة.

الهوامش

1. الابحار عبر الاضطراب .تقرير الجنة الدراسية الرئاسية لمعهد واشنطن 2000ص7
2. نشرة فتح العدد السابع منتصف نيسان 2001
3. المصدر السابق العدد السابع عشر منتصف ايلول 2001
4. نورمان فنكلشتاين www.norman finkilstein.com HYPERLINK "http://www.norman"
5. المصدر السابق
6. شارون
7. بوش www.whitehouse.gov HYPERLINK "http://www.whitehouse.gov"
8. نشرة فتح العدد العشرون نهاية اكتوبر2001